المشاهدات المعصومية

عند

قبر خير البرية

في المدينة الطيبة

على نبينا وسائر الأنبياء الصلاة والسلام والتحية

بقلم

أبي عبد الكريم وأبي عبد الرحمن

محمد سلطان المعصومي الخجندي المكي

المدرس بالمسجد الحرام

نشر وتوزيع

رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا للإيمان ، وجعلنا من أهل التوحيد والإحسان، ووفقنا للاتباع لسنة سيد ولد عدنان ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وحفظنا من البدع والحِدْثان ووقانا مِنَ الغلو والخرافات والهذيان ، فالحمدُ له تعالى أولا وآخراً ما تكرّر الجديدان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بيّن لنا ما أوجب الله علينا حق البيان ، وأمرنا بالتمسك والعمل بكتاب الله وسنّته الثابتة بالأسانيد الصحيحة فى دواوين أهل العِرفان ، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان ، جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا فى زمرتهم بفضله ومنّه آمين .

أما بعد : فيقول العبد الضعيف المهاجر ، وفى بلد الله الأمين المجاور أبو عبد الكريم وأبو عبد الرحمن محمد سلطان المعصومى الخجندى : إنه لما منّ الله تعالى علىّ بشَرَف زيارة المدينة الطيبة ، والصلاة فى المسجد النبوى الشريف والروضة المباركة، ثم الزيارة بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم مواجهة قبره الشريف ، ثم صاحبيه أبى بكر الصديق وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهما مرّات بعد مرّات ، وذلك أوّلا فى عام ١٣٢٤ هـ فى عهد سلطنة عبد الحميد خان العثمانى التركى ، وقد أقمت فيها عدّة أشهر ، وأخذتُ عن علمائها الموجودين فى ذلك الوقت كالسيد أحمد

البرزنجى ، والشيخ عبد الله القدومى ، والشيخ محمد خليل الخربوطى وغيرهم . وثانياً فى عام ١٣٥٤ هـ فى عهد الملك المعظم عبد العزيز السعودى وأقمتُ فيها ستة أشهر مدرساً فى مدرسة دار الحديث المدنية ، وثالثاً فى عام ١٣٥٧ هـ فى عهد الملك المذكور أيضاً مع زوجتى وكان عمر بنتى عائشة عامين ، فأقمنا فى أيام الصيف أربعة أشهر . ثم رابعاً عام ١٣٦٦ هـ فى عهد الملك المذكور أيضاً ، وكانت معى زوجتى المذكورة و بناتى الثلاث : عائشة ، وفاطمة ، وزينب ، وولدى عبد الرحمن ، وعمره إذ ذاك عامان ونصف ، ولازمنا أداء الصلوات الخمس فى الروضة المطهرة ، بتوفيق من الله تعالى وفضل ومنة ، فالحمد لله رب العالمين .

سرّ مشروعية زيارة القبور

اعلم أن الله تعالى ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إنما أذنا فى زيارة القبور بعد أن منعا منها ؛ للاعتبار والاتعاظ وتذكّر الموت والآخرة ، وللتنبيه على أنه لا بقاء لأحد من المخلوقين ولو كان نبيًّا أو ولياً ، حتى ولو كان سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين : سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لابدّ حتماً ، طوعًا أو كرهاً ، يجيب هادم اللّذات ، ففيه عبرة لمن له أدنى عقل ، أو ذرّة من فهم مستقيم سليم ، فالميّت أيًّا كان قد انقطع عمله فى هذه الحياة الدنيا ، وهو لايعلم ما يقع و يجرى فى الدنيا من الأعمال والأقوال ولو عند قبره، لأنّ روح الميت: إمّا فى عِلّيّين إن كان من السعداء كالأنبياء والمؤمنين المفلحين ، أو فى سجّين وأسفل

السافلين إن كان من المشركين والـكفرة والملحدين ، وقد تحوّلوا عن هذه الدار الدنيا ، ودخلوا فى عالم البرزخ ، وحال وحكم عالم البرزخ غير حال عالم الدنيا البتة .

ولو فرضنا أنه يعلم بالواقع ولـكنه لايقدر على الجواب والرد كما تفيده الآيات الصريحة فتنبه .

ولا شك أن الميت أيّاً كان ، محتاج إلى رحمة الله تعالى ، ودعاء الأحياء لهم بالرحمة والمغفرة ينفعهم وكذا صدقة الأحياء لهم .

فالنتيجة فى زيارة القبر حصول العبرة والاعتبار وتذكّر الموت والآخرة للزائر ، وحصول ثواب الدعاء والصدقة للميِّت ، وهذا سر الترغيب من زيارة القبور لا غير ، فمن فعل غير ذلك ، أو اعتقد غير ماقلنا ؛ فقد خالف الله ورسوله وعكس الأمر كما لايخفى .

اعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف الأنبياء وسيد المرسلين ، وأفضل بنى البشر على الإطلاق ، فـكذلك قبره أشرف القبور بلاارتياب؛ فـكما أنه صلى الله عليه وسلم بشر من البشر من حيث إنه بشر : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) فـكذا قبره الشريف : قبر من القبور ، يُزار كما تُزار ؛ للتذكر والاعتبار ، فـكما علّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زُرنا القبور : أى قبورَ المسلمين ؛ أن نقول : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، وَيَرْحَمُ

اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ » فحيث علمنا هكذا عند زيارة القبور علمنا منه أن نقول عند زيارة قبره الشريف « الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَارَسُولَ اللهِ ، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ ، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَاسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ؛ قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ ، فَجَزَاكَ اللهُ تَعَالَى عَنَّا وَعَنْ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا » وهكذا ثبت عن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

ولا شك أن كل مسلم يحبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ من حبه نفسَه ، وولدَه ، ووالده ، والناس أجمعين . وعلامة صدق هذا الحب إنما تثبت و تظهر بشيئين : أحدهما العملُ بسنته قولية أو فعلية (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وثانيهما الصلاة والسلام عليه كلما تيسّر (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللّهمّ بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وأما التوجه إلى قبره صلى الله عليه وسلم من كل نواحى المسجد كلما دخل المسجد ، أو كلما فرغ من الصلاة فليس من دين الإسلام أصلاً ؛ بل من شعار عبّاد الأوثان والمشركين قطعا . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ بَعْدِي ،

وَلاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِى عِيداً» . « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » .

ولا شك أن التوجّه إلى شىء أو إلى جهة بقصد التقرب وحصول الثواب عبادة ، والعبادة حق الله خاصة دون غيره ، وهذا لا يكون إلا إلى الكعبة فقط ، فمن توجّه إلى غير الكعبة بقصد القربة فقد أشرك بعبادة الله غيره ، وهذا مناف للإسلام وما جاء به محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقبلة العبادة ، وقبلة التوجّه ، وقبلة الفيض والبركة ، وقبلة الدعاء : إنما هى الكعبة لا غير فى دين الإسلام (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) فالذى يتوجه إلى القبر ولو قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اتخذه قبلةً وكعبةً ، وذلك عين الشرك الأكبر ، وعين عبادة الأوثان ، كما لا يخفى على كل من يعلم ما جاء به سيدُنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والعبد الضعيف فى زياراتى الأربع للمدينة الطيّبة ، قد أمعنتُ النظر فشاهدتُ فى المسجد النبوى ، وعند قبره الشريف ، ما يُضادّ الإيمان ، ويهدم الإسلام ، ويُبطل العبادات من الشركيات والوثنيات الصادرة من الغلوّ وتراكم الجهالات ، والتقليد الجامد الأعمى أو التعصب الباطل ؛ وغالب من يرتكب هذه المنكرات بعضُ الغرباء من أهل الآفاق ممن لا خُبْرَ له عن حقيقة الدين ، فإنهم قد اتخذوا قبر النبى صلى الله عليه وسلم

وثناً غلوًّا فى المحبّة وهم لايشعرون ، لأن الحبَّ والغلو يُعمى وَيُصِم ؛ والمشركون لم يقصدوا إلا تعظيم الله بتعظيم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : (مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللهِ زُلْفَى، وَهٰؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ) .

وقد شاهدنا أنهم يصلون كثيراً ، ويقرءون القرآن كثيراً ، ولكن لايفهمون معنى ما يتلون ولا يتدبَّرون ذلك ، وإن ادعوا أو زعموا أنهم علماء وعرفاء ، لأنهم لو عرفوا معنى الحمد لله رب العالمين ؛ لَعَلموا أن العالمين كلهم مخلوقون ومربوبون ومحتاجون وفقراء إلى الله رب العالمين . والعالمين جمع عالم ، والعالم كل ما سوى الله تعالى من الموجودات ؛ فالملائكة والأنبياء ومن دونهم كلهم مخلوقون ومربوبون ومحتاجون إلى تربية الربّ الرحمٰن الرحيم، مالك يوم الدين . فمن عرف معنى رب العالمين ، ومالك يوم الدين ، وإياك نعبد وإياك نستعين ، هل يرجو غير الله ، أو يخاف من غير الله ، أو يعبد غير الله ، أو ينذر لغير الله ؟

ومن عرف معنى (قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرًّا إلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّا نَحْنُ نَتَوَلَّى الظَّوَاهِرَ وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ » وما وقع له صلى الله عليه وسلم من أنّ جرو الكلب الميت كان تحت سريره وهو لايدرى فلمّا تأخر جبريل عليه السلام وبيّن أنّ سبب تأخيره أن تحت سريره جثة كلب ميت علم بذلك فأخرجه، وكذا واقعة خلع نعله فى الصلاة ، وكذا واقعة فقد عائشة فى السفر عقدها ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم ما غاب عن بصره فى حياته

إلاّ إذا أعلمه الله تعالى بالوحى ، فكيف يعلم ماغاب عنه بعد موته وهو فى عالم البرزخ . أما يعلم هؤلاء الغلاة : أنه حينما تُردّ طائفة من أمته عن حوضه الكوثر وتُطرد فيقول صلى الله عليه وسلم : « يَا رَبِّ إِنَّ هٰؤُلاَءِ مِنْ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ » فقد صرّح الله تعالى بأنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم ما يقع فى عالم الدنيا ، فمن يزعم أنه صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب بعد موته ، أو يُعين من استعان به أو يغيث من استغاث به فقد خالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و إجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم ؛ فلا شك أن هذا وأمثاله صار محرومًا من هداية الله وتوفيقه ورحمته وجنّته ولكن من كمال جهله ونهاية غلوّه لايشعر بذلك فقد أعماه التقاليد ، فلعنة الله على من أحدث هذه البدع الشركيات والخرافات والضلالات ، أعاذنا الله تعالى منها بفضله ومنّه و إحسانه .

فياأيُّها المدّعون محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغالب الظن أنكم صادقون فى دعواكم المحبّة، ولكنكم بسبب الغلوّ والجهل جهلتم حقيقة المحبة الصحيحة التى يُحبُّها الله تعالى ورسولُه صلى الله عليه وسلم، ألاَ وهى امتثال أمره ، والانتهاء عما نهى عنه قولاً وفعلاً ، ولا شك أنّ توجُّهكم كلما دخلتم المسجد وخرجتم إلى قبره صلى الله عليه وسلم متواضعين ومتخشّعين ومتذللين مخالف لما قاله النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه مالك رحمه الله فى موطئه مرسلاً عن عطاء رحمه الله تعالى فى موضعين منه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللّٰهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»

(ب)

« وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » والعمل الذى أنتم أيها المدّعون تعملونه من التوجه إلى القبر النبوى بالتواضع والتذلّل هو بعينه ما يفعله عُبّاد الأوثان لأوثانهم رجاء البركة والفيض ، فإذًا لافرق بين ماتعملون أنتم أيها المدَّعون وما تعمله عبدة الأوثان : اللات والعزَّى وودّ وسُواع ويعوق ويغوث ونسراً فأنتم أيها المدعون راجعوا تفسير آية اللات والعزَّى ، وآية يغوث ويعوق ونسراً لتحذروا ممّا ذمه الله تعالى وذمَّه رسوله صلى الله عليه وسلم ، واحذروا مما أنتم عليه من التوجه إلى القبر لأنه وثنية وشرك وضلالة ، وصلّوا وسلّموا على النبى صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تصل إليه ، وأنتم ومَن بالأندلُس والشرق الأقصى سواء ، كما تصلّون فيما بعد التشهد فى صلواتكم فرضها ونفلها ، والعمدة على صدق النية .

والتوجُّه بقصد القربة مخصوص شرعا بالكعبة خاصة ، فمن توجه إلى غيرها بقصد القربة فقد أشرك فى عبادة الله تعالى غيره ، وهذا هو الشرك الأكبر الذى لايغفره الله تعالى أبداً إلا إذا تاب العبد توبة صحيحة ، وقد خشى النبى صلى الله عليه وسلم من أن أمّته ستتبع سنن من قبلها من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان فحذر أمته قائلاً كما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى لم يقم منه : « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحذِّر ما صنعوا .

وفى مسلم عن جُندب رضى الله عنه قال: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: « أَلاَوإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ » وروى أبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « لَعَنَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ ، وَخَيْرُ الْبِقَاعِ مَسَاجِدُهَا » .

وذكر النووى فى الأذكار مارواه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: « لاَ تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيداً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ. فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ » . قال شارحه محمد بن علّان فى الفتوحات الربانية ج ٣ ص ٣١٤ قال السخاوى والقسطلانى : إنه صلى الله عليه وسلم أشار بهذا إلى مافى الحديث الآخر من نهيه عن اتخاذ قبره مسجداً ، أى لاتجتمعوا عنده كما تجتمعون للعيد ، وفى شرح المصابيح : فى الكلام حذف تقديره : لا تجعلوا زيارة قبرى عيداً ، ومعناه النهى عن الاجتماع لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم اجتماعهم للعيد ، وكانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم ، فنهى النبى صلى الله عليه وسلم أمته عن ذلك ، وقيل إنما منع صلى الله عليه وسلم كراهية أن يتجاوزوا فى تعظيم قبره غاية التجاوز .

قلت: كما هوالمشاهد اليوم، فإنهم قد غلواغلوًّا زائداً، وصاروا كأنهم يعبدونه ويسجدون إليه ؛ وذكر ابن حجر الهيتمى فى شرح المشكاة

فى معنى الحديث ، العيد اسم من الاعتياد ، يقال: عاده واعتاده ، وتعوّده : صار له عادة ، أى لا تجعلوا قبرى محلاً لاعتياد المجىء إليه متكرراً تكراراً كثيراً ؛ فلهذا قال صلى الله عليه وسلم : « وَصَلوا عَلَيَّ فَإِن صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ » فإن فيها كفاية عن ذلك .

قال العينى فى عمدة القارى فى شرح حديث عائشة رضى الله عنها ، ج ٨ ص ١٣٦ : يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم : « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » قطع الذريعة ؛ لئلا يعبد قبره الجهال ، كما فعلت اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم الخ .

وقال الجلال السيوطى فى حاشية النسائى فى شرح الحديث المذكور ج ٢ ص ٤٢ قال البيضاوى : لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ، ويتوجهون إليها تعظيماً لشأنهم ، ويجعلونها قبلة يتوجهون فى الصلاة والدعاء نحوها ، واتخذوها أوثانا لعنهم الله ، ومنع المسلمين من مثل ذلك ، وأصل الشرك إنما حدث من تعظيم القبر والتوجه إليه الخ .

فصل

فيما ورد من الأحاديث فى كيفية زيارة القبور

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » .

وعن بُريدة رضى الله عنه قال : « كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ ، يَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ

الْمؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ » . رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِقُبُورٍ بِالْمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ . فقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا ، وَنَحْنُ بِالأَثَرِ » رواه الترمذى وحسّنه . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ؛ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ » رواه ابن ماجه « وَقَدْ لَعَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ » قال الترمذى : قد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبى صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور ، فلما رخص دخل فى رخصته الرجال والنساء . وقال بعضهم : إنما كره زيارة القبور للنساء ؛ لقلة صبرهن ، وكثرة جزعهن ، فزيارة القبور تورث رقة القلب ، وتذكر الموت والبلى ، والعمدة فى ذلك : الدعاء للميت ، والاستغفار له ، وبذلك وردت السنة .

وكيفية الزيارة المروية عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضى الله تعالى عنهم هكذا : روى الواقدى فى فتوح الشام : لما رجع عمر رضى الله عنه من الشام وقدم المدينة ، كان أول ما بدأ بالمسجد وصلى ركعتين فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى عبد الرزاق أن ابن عمر رضى الله عنهما : كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه .
وروى مالك فى الموطأ أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وفى مسند الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان يأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم من قِبَل القبلة و يقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله و بركاته .

وقد روى عبد الرزاق أن الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم رأى قوماً عند القبر الشريف فنهاهم ، وقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِى عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِى » . وعن سهيل بن سهيل رحمه الله تعالى قال : جئت أسلِّم على النبى صلى الله عليه وسلم فرآنى الحسن بن الحسن رضى الله عنهما ، فقال : مالى رأيتك عند القبر واقفاً ؟ قلت : وقفت أسلِّم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إذا دخلت المسجد فسلم عليه ، وقل : السلام على رسول الله ، ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِى عِيدًا » ، ثم قال : أنتم ومَن بالأندلس سواء ، وهذا يبين أن ذلك الرجل زاد عن الحد، والسلام يبلغه صلى الله عليه وسلم ولو من بعيد ، فلا يتكاف الإكثار من الحضور ، وقد روى عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله عنهم أنه قال : ما رأيت أبى قط يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يكره إتيانه والوقوف عنده لمن لم يقدم من السفر ، لقوله صلى الله عليه وسلم: « لَا تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيدًا » أى فلا تجتمعوا

ولا تعتكفوا عنده ، ولا تتزينوا لأجله كما يُعمل فى الأعياد . ونقل عياض عن المبسوط أنه قال : لا أرى أن يقف الزائر عند القبر ويدعو ، ولكن يسلم ويمضى .

ويجب على الزائر أن يجتنب لمس الجدار وتقبيله والطواف به والصلاة إليه . قال النووى : لا يجوز أن يطاف بقبره صلى الله عليه وسلم ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر . قاله الحليمى وغيره : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، ومن ظن أن المسح باليد ونحوه أبلغ فى البركة ، فهو من جهالته وغفلته ؛ لأن البركة إنما هى فيما وافق الشرع . اه

وفى الإحياء : مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود ، ويجب اجتناب الانحناء للقبر عند التسليم . قال ابن جماعة : إنه من البدع المنكرة ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم ، وأقبح منه تقبيل أرض القبر ، فإنه لم يفعله السلف الصالح ، والخير كله فى اتباعهم ، وليس عجبى ممن جهل ذلك فارتكبه بل عجبى ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف . اه

وفى كتاب الجامع البيان لابن رشد ، سئل مالك رحمه الله تعالى عن الغريب يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم ؟ فقال : ما هذا من الأمر ، ولكن إذا أراد الخروج ، فذكر حديث : « اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِى وَثَنًا يُعْبَدُ » .

قال ابن رشد : فيكره أن يكثر المرور به والسلام عليه ، والإتيان كل يوم إليه ، لئلا يجعل القبر بفعل ذلك كالمسجد الذى يؤتى كل يوم للصلاة فيه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله : « اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِى وَثَنًا » الحديث .

قال القاضى عياض فى الشفاء : وليس يلزم مَن دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، و إنما ذلك للغرباء ، ولا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيُصلّى عليه و يدعو له ولأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقيل إن ناسا من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولا يُريدونه و يفعلون ذلك فى اليوم مرةً أو أكثر عند القبر فيسلّمون و يدعون ساعةً ، فقال لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه، وتركُه واسع، ولا يُصلح آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها ، ولم يبلغنى عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك فيكره إلاّ لمن جاء من سفر أو أراده .

وروى سعيد بن منصور فى سننه عن المعرور بن سويد رحمه الله تعالى : أنه خرج مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حجة حجها ، فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا مسجدا ، فقال: ماهذا ؟ فقالوا : مسجد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : هكذا أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الأنبياء بِيَعاً ، من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصلّ ، ومن لم تعرض له فليمض ، فلهذا كره مالك رحمهُ الله تتبّع آثار النبى صلى الله عليه وسلم، والمواضع التى صلّى فيها الخ .

قال المعصومى — عصمه الله تعالى فى الدارين — إنما نقلنا مارأيناه حقًّا وصوابًا مما فى [وفاء الوفاء] لنورالدين على السمهودى ؛ لأن الحكمة وكلمة الحق ضالّة المؤمن يأخذها أين وجدها ، لأنا قد رأينا السمهودى حاطب ليل رطباً و يابساً وفيه الأفعى والعقرب ؛ وهو لايدرى .

قال الأستاذ السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار في قوله تعالى : (قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ) لأن وظيفة الرسالة إنما هي التبليغ لا التكوين ، ولكن إلى الله المشتكى من جهل المسلمين الخرافيين ، إنهم يدعون ويعتقدون قدرة الأنبياء والصالحين حتى الميتين منهم على كل شيء من التصرف في نفعهم وضرهم ، قال في فتح البيان : وفي هذا أعظم وازع ، وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه وهجِّيراه المناداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الاستغاثة به عند نزول النوازل التي لايقدر على دفعها إلا الله سبحانه . وكذلك من يطلب من رسول الله مالايقدر على تحصيله إلا الله سبحانه ، فيا عجباً لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى ، وكيف لايتيقنون لما وقعوا فيه من الشرك الأكبر ، ولا ينتبهون لما حلّ بهم من المخالفة لمعنى : لا إله إلا الله .

وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على مايقع من هؤلاء ولا يُنكرون عليهم ، ولقد توسّل الشيطان أخزاه الله بهذه الذريعة إلى ماتقرّ به عينه وينثلج به صدره من شرك كثير من هذه الأمة المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الخ .

قال أحمد بن حجر الهيتمي في الزواجر الكبيرة ص ٩٣ : اتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها ، واتخاذها أوثاناً ، والطواف بها ، واستلامها والصلاة إليها . فذكر أحاديث كثيرة ، ثم قال ، قال أصحابنا : تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركا وإعظاما ، وكذا إيقاد السرج عليها

تعظيماً لها وتبركا، والطواف بها ، وقد ورد النهى عن اتخاذ القبور أوثاناً كما قال صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِى وَثَناً يُعْبَدُ بَعْدِى » . أى لاتعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو نحوه . ولا شك أن هذا كفر ، قال بعضُ الحنابلة:قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا به عين المحادّة لله ورسوله ، و إبداع دين لم يأذن به الله للنهى عنها بالإجماع . لاشك أن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عند القبور وعليها و إليها ؛ و بناء المساجد عليها، ويجب على أهل الإيمان المبادرة لهدمها وهدم القباب التى على القبور، إذ هى أضر من مسجد الضرار ، لأنها أسِّسَت على معصية رسول الله صلى الله عايه وسلم ، لأنه نهى عن ذلك ، وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المُشرِفة ؛ وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه ونذرُه الخ .

فصـــــل

فى فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا خلاف بين أهل الإسلام أن أفضل المساجد بعد المسجد الحرام إنما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائن فى المدينة الطيبة ، وهو المسجد الذى ذكره الله تعالى فى القرآن بقوله : (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيــــهِ) ؛ وقد روى الشيخان فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، وَمَسْجِدِي هَذَا » . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي » .

وروى الترمذى وأحمد وابن ماجه عن فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى رضى الله عنهما قالت : « كَانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ وَقَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ » . وفى رواية قال : « بِسْمِ اللهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ » بدل: صلى على محمد وسلم . وقال الترمذى : ليس إسناده بمتصل الخ .

وروى ابن ماجه والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا لَمْ يَأْتِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ » .

وروى ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفَ صَلاَةٍ ، وَصَلاَتُهُ فِي مَسْجِدِي بِخَمْسِينَ أَلْفِ صَلاَةٍ وَصَلاَتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ » .

وروى أحمد فى مسنده ج ٣ ص ١٥٥ عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلاَةً لاَ تَفُوتُهُ صَلاَةٌ ، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَنَجَاةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، وَبَرِيءَ مِنَ النِّفَاقِ » .

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ مَاشِيًا وَرَاكِباً ، وَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ » .

وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ » .

قال المعصومى : فعلى هذا ينبغى أن توصف المدينة بالطيبة ، ولكن الناس غفلوا عن هذا الحديث فأهملوه ، ويقولون المدينة المنوّرة صلى الله تعالى وسلم على هذا الرسول الذى جعل الله تعالى المدينة بسببه طابة وطيبة .

وروى البخارى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » . وروى الترمذى وأحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا »

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب إسناداً .

وروى ابن ماجه فى سننه بسنده عن أسيد بن ظهير الأنصارى رضى الله عنه ، وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صَلَاةٌ فِى مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ » . وعن سهل ابن حنيف رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَطَهَّرَ فِى بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ » وكذا رواه النسائى فى سننه الخ .

فصل

اعلم أن المسلمين منذ وُسّد أمرهم إلى غير أهله من أهل الجهل والهوى والأغراض الفاسدة ، غيّروا شرع الله ، وخالفوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنة الخلفاء الراشدين ؛ فاتباعاً للهوى ، أوهوساً وتخيلاً للسياسة النفسانية ، قد قلدوا النصارى فى كل الشئون عقيدةً وعملاً ، فمن جملتها أنهم زخرفوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن جعلوه ككنائس النصارى مزخرفاً مطلىً محلىًّ ؛ والحال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن ذلك .

وروى أبوداود فى سننه وأحمد فى مسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ » . قال ابن عباس رضى الله عنهما : لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى .

وروى أبوداود والنسائي وابن ماجه والدارمي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي المَسَاجِدِ » .

والحاصل أن أكثر المسلمين قد أخطئوا خطأ ظاهرًا بل فاحشًا ، وغيّرُوا معالم الدين تقليدا لليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان . فمنها تغييرهم مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلم عما كان عليه من البناء السادة الغير المزخرف ، فهؤلاء غيروا وزخرفوا فجعلوه ككنائس النصارى والروم ؛ والظن الغالب على ماتشهد عليه الأحاديث الصحيحة النبوية ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان حيا ، وشاهد هذا المسجد على هذا الحال لأنكره ، ولم يدخل فيه حتى يُغير وتُزال النقوش ويُعاد إلى ما كان عليه . والثاني أنهم غيّروا حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وبنوا بدلها هذه العمارات المزخرفة ، والقبب الشامخة ، ونسوا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور والبناء عليها .

ولو أنهم أبقوا حجراته صلى الله عليه وسلم على ما هي عليها ، ورمّوا وأصلحوا ما خرب وانهدم منها على الشكل الأول بلا تغيير لكان عبرة للناس ، فيزيدهم تقوى وزهدا فى الدنيا ، ولكان شاهدًا على حقارة الدنيا وأن الاعتناء بالدنيا وزخارفها من شؤون من لاعقل له من الحمقاء .

واعلم أن أول من غيّر هذه المعالم من أمراء المسلمين إنما هو الوليد ابن عبدالملك الأموى ، فإنه أمر بهدم حجرات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ٩١ فهدمت ، فقال عطاء : سمعت سعيد بن المسيب رحمه الله

تعالى يقول : والله لَوَدِدتُ أنهم لوتركوها على حالها ينشأ ناشىء من المدينة ، ويقدم قادم من الآوق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ويكون ذلك ممَّا يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فيها ، وقد كره الناس صنع الوليد و بكوا ، منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل ، وخارجة بن زيد رضى الله عنهم . وقال أبو أمامة رضى الله عنه : ليتَها تركت حتى ينقص الناس من البنيان، ويروا ما رضى الله تعالى لنبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الحياة الدنيا الفانية ومفاتيح خزائن الدنيا بيـــده . والذى باشر هدمها بأمر الوليد : عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ أمير المدينة (كذا فى وفاء الوفاء للسمهودى ج ١ ص ٣٢٧) .

قال المعصومى: رضى الله تعالى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه ، ما أعقله وما أذكاه : إنه حينما أراد توسيع المسجد بعد ما ضاق على المسلمين اشترى ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس ابن عبد المطلب وحجرات أمَّهات المؤمنين رضى الله عنهم ، فقال عمر للعباس رضى الله عنهما : يا أبا الفضل إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم ، وقد ابتعتُ ما حوله من المنازل لنوسع المسجد إلا دارك وحجرات أمهات المؤمنين ، فأما حجرات أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ، وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين الخ (سمهودى ج١ ص ٣٤٣) فانظر إلى قوله رضى الله عنه : فأما حجرات أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ، فكان أدقَّ نظراً، وأبعد ملاحظة، وأغور فكرة، فرضى الله عنه وعن سائر الصحابة أجمعين .

وروى البخارى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال « أمر عمر رضى الله عنه ببناء المسجد ، وقال أكنّ الناس من المطر ، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس » .

فانظر إلى أمر عمر رضى الله عنه كيف نهى وحذر عن التحمير والتصفير والنقش والزخرفة . فياليت المسلمين ثبتوا على العمل بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإرشاد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ؛ ولكن قد غيروا فغير الله عليهم .

وروى البخارى وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « أن عثمان رضى الله عنه جدد المسجد وزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج فكره الناس ذلك ، وأحبّوا أن يدعه على هيئته » ، قال البغوى فى شرح السنة : لعل الذى كرهه الصحابة من عثمان رضى الله عنه بناؤه بالحجارة المنقوشة لامجرد توسيعه أو بناؤه بالحجارة المطلقة . ونقل مالك رحمه الله تعالى عن الثقة عنده أن الناس كانوا يدخلون حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يصلّون فيها يوم الجمعة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان المسجد يضيق عن أهله، وحجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ليست من المسجد ، ولكن أبوابها شارعة إلى المسجد الخ .

قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى : والله لوددت أنهم تركوها على حالها . والذى هدمها عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد ، وبنى المسجد بالحجارة المنقوشة والفسيفساء والمرمر ، وعمل سقفه بالساج وزخرفه بماء

الذهب ، وكان العمال من الروم « النصارى » وعملوا على رأس الطاقات في جدور القبلة صورة خنزير فأزا له عمر بن العزيز الخ سمهودي ج١ ص٣٦٦

قال المعصومي: فانظر إلى خطأ عمر بن عبد العزيز من وجوه كثيرة : أوّلا هدمه حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . وثانياً نقشه المسجد وزخرفته بماء الذهب . وثالثاً استعماله الروم والنصارى ؛ فهم زخرفوا المسجد وشبهوه بالكنائس ، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا سَاءَ عَمَلُ قَوْمٍ قَطّ إلاَّ زَخْرَفُوا مَسَاجِدَهُمْ » كما في سنن ابن ماجه .

وحينما تمم عمر بن عبدالعزيز بناء المسجد أرسل إلى أبان بن عثمان رضي الله عنهما ، فقال أين هذا البناء من بنيانكم ؟ فقال بنيناه بناء المساجد وأنتم بنيتموه بناء الكنائس الخ .

قلت : الحق أن الذي قاله لأبان إنما هو الوليد حينما حج ، وجعل يطوف ويدور في المسجد وينظر إليه ، ومعه أبان بن عثمان رضي الله عنهما فقال أين بناؤنا من بنائكم ؟ فقال أبان رضي الله عنه : إنا بنيناه بناء المساجد ، وبنيتموه أنتم بناء الكنائس الخ ، إن عمر ابن عبد العزيز أحدث في المسجد المحراب، والشرافات وزينه ؛ والحال أنه قد ورد عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ابْنُوا الْمَسَاجِدَ وَاتَّخِذُوهَا جُمًّا » وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «نهينا أن نصلي في مسجد مشرف» رواه البيهقي في السنن، والجم: الذي لا شرف له ؛ وعمر بن عبد العزيز هو الذي بنى أربع منارات في كل زاوية منه منارة الخ ؛ وفي الجامع الصغير عن ابن عباس رضي الله عنهما :

« ابْنُوا مَسَاجِدَكُمْ جُمًّا ، وَابْنُوا مَدَائِنَكُمْ مُشْرِفَةً » . قال المناوى فى شرحه ، قال المقريزى فى تذكرته : مات عثمان رضى الله عنه والمسجد بلا شرافات ، وأول من أحدثها عمر بن عبد العزيز .

ابتداء بناء القبة الخضراء على القبر الشريف

اعلم أنه إلى عام ٦٧٨هـ لم تكن قبة على الحجرة النبوية التى فيها قبره صلى الله عليه وسلم ، وإنما عملها وبناها الملك الظاهر المنصور قلاوون الصالحى فى تلك السنة ٦٧٨هـ فعملت تلك القبة .

قلت : إنما فعل ذلك لأنه رأى فى مصر والشام كنائس النصارى المزخرفة ، فقلدهم جهلاً منه بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وسنته ، كما قلدهم الوليد فى زخرفة المسجد فتنبه . [كذا فى وفاء الوفاء] .

وقال أيوب صبرى التركى فى المجلد الثانى من كتابه : [مرآة الحرمين] ماممرّبه : إن السلطان صالح قلاوون المصرى فى عام ٦٧٨ هجرى بنى على الحجرة النبوية قبة ، وكان وكيله أحمد كمال بن هارون عبد القوى الربعى ، وبعده جددها وصفحها بألواح النحاس الملك ناصر حسن بن محمد ابن قلاوون عام ٧٥٥هـ الخ .

اعلم أنه لا شك أن عمل قلاوون هذا مخالف قطعاً للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الجهل بلاء عظيم ، والغلو فى المحبة والتعظيم ، وباء جسيم ، والتقليد للأجانب داء مهلك ؛ فنعوذ بالله من الجهل ، ومن الغلوّ ، ومن التقليد للأجانب .

وقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهيّاج حيان بن حصين الأسدى عن على رضى الله عنهما أنه قال له: « أَبعثكَ عَلَى ما بعثنى عليهِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: أنْ لاَ تَدَعَ تِمثَالًا إلاَّ طَمَسْتَهُ ، وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إلاَّ سَوَّيْتَهُ » ، فالسنة أن القبر لا يُرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين قبر صالح وغير صالح ، ونبىّ أو ولى ؛ لأن البناء على القبور محرم ، وما قيل بإباحته فباطل مخالف للنص : ويدخل فى المنع أوّلا دخولا أوليًا القبب والمشاهد المعمورة على القبور ، وأيضاً يكون هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم فاعل ذلك ، وكم نشأ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الإسلام . منها اعتقاد الجهلة لها ، كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظموها فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ، ودفع الضر ، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد المؤمنون الموحدون من ربهم ، وشدوا إليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا ، وهكذا فى جميع أنحاء العالم الإسلامى عموما ، وفى المدينة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصا . وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإنا لله و إنا إليه راجعون .

ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا نجد من يغضب لله ، ويغار حمية للدين الحنيف ، لا عالما ولا متعلماً ، ولا أميرًا ولا وزيرًا ، والعلماء إنما مقصدهم تسديد معيشتهم لا غير ؛ فيا علماء الإسلام ، ويا ملوك المسلمين ، أىّ رزء للاسلام أشد من الكفر والشرك والوثنية ؟ وأىّ بلاء

لهذا الدين الحنيف أضر عليه من عبادة غير الله ؟ وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً ؟ كذا فى [نيل الأوطار] للشوكانى رحمه الله تعالى .

وقال محيي السنة فى شرح حديث : « مَا أُمِرْتُ بتشييدِ المساجدِ إنَّ النصارَى زَخرَفُوا الكنائِسَ عندَ مابدَّلُوا دينَهُمْ، وحرَّفوا كُتبَهُمْ ، وأنتمْ تَصِيرُونَ إلىَ مِثْلِ حَالِهِمْ، وَسَيَصِيرُ أمْرُكُمْ إلَى المرَاءاةِ بالْمَسَاجِدِ ، والمُبَاهَاةِ بتَشْييدِهَا وتَزْيينِها» . قال أبو الدرداء رضى الله عنه: « إذَا حَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ ، وَزَوَّقْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ ، فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ » ، ففى هذا الحديث معجزة ظاهرة لإخباره صلى الله عليه وسلم عما سيقع بعده ، فإن تزويق المساجد والمباهاة بزخرفتها كثر من الملوك والأمراء الجهلة بأخذ أموال الناس ظلماً ؛ فتشييد المساجد بدعة ، ومن جوّز وحسّن تزيين المساجد بالتفلسف فقد خالف السنة ، وحرم التوفيق ، لأنه من صنع اليهود والنصارى .

ولا ريب أن المؤمن الصحيح الإسلام إنما يقصد المساجد لعبادة الله تعالى ، التى لا تكون عبادة حقيقة إلا مع الخشوع ، و إلا كانت كجسم بلا روح ، كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأنبجانية التى بعث بها إلى أبى جهم ، وكما ثبت من هتكه صلى الله عليه وسلم للستور التى فيها نقوش [نيل الأوطار ج ٢ ص ١٢٦] .

وقد روى ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً « مَا سَاءَ عَمَلُ قَوْمٍ قَطُّ إلاَّ زَخْرَفُوا مَسَاجِدَهُمْ » .

قال العبد الضعيف المعصومى : فياليت المسلمين تمسكوا بسنة نبيهم و بنوا المساجد جمّا ، وأحكموها بالحجارة والحديد والأسمنت ، و بيضوها بياضاً خالصاً لكان لها شأن ، ولكنهم اتبعوا سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان شبراً بشبر حتى وقعوا فيما وقعوا فيه من البدع والضلال ، فلما غيروا الدين غيّر الله عليهم ، فجعلهم أذلاء محكومين تحت سيطرة الإفرنج والمجوس ، وصار علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم خرجت الفتنة وعمت .

غيروا توحيــــد الله بالشرك باعتقاد أن أرواح الأنبياء والأولياء ، وخصوصاً روح رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم الغيب ، و تنفع و تضر ، وهذا هو الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله تعالى مالم يتب منه ، و بالركوع والسجود وكمال الخضوع إلى قبره الشريف ، وجعله قبلة فى كل يوم مرات ، وغيّروا الإسلام باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فاستحلوا ماحللوه لهم وإن كان محرماً ممنوعاً من الله ورسوله ؛ كالبناء على القبور وتزيين المساجد ، وابتداع عبادات وأوراد فى أوقات مخصوصة كدلائل الخيرات ، وقصيدة البردة ، وحرّموا على أنفسهم ماحلله الله بل فرضه ، كتحريمهم العمل بالكتاب والسنة ، وتحريمهم الإشارة بالسبابة ، و إيجابهم تقليد أحد المذاهب المعينة ، و إلزامهم أخذ البيعة على يد شيخ من شيوخ الطرق ، ونحو ذلك من الخرافات والضلالات فتدبر .

وروى أحمد وأبوداود عن عثمان بن طلحة رضى الله عنه « أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ بَعْدَ دُخُولِهِ الْكَعْبَةَ ، فقال : إِنِّى كُنْتُ رَأَيْتُ

قَرْنَيِ الْكَبْشِ حِينَ دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَنَسِيتُ أَنْ آمُرَكَ أَنْ تُخَمِّرَهُمَا فَخَمِّرْهُمَا ، فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي قِبْلَةِ الْبَيْتِ شَيْءٌ يُلْهِي الْمُصَلِّيَ » .

وروى البخارى وأحمدعن أنس رضىالله عنه قال « كَانَ قِرامٌ لعائشةَ قدْ سَتَرَتْ بِهِ جانِبَ بَيْتِهَا ، فقالَ لهـا النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أَمِيطِى عَنِّي قِرَامَكِ هٰذَا ، فَإِنَّهُ لا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ لِي فِي صَلاَتِي » . فالحديث يدل على كراهة تزيين المحاريب وغيرها مما يستقبله المصلى بنقش أوتصوير أوغيرهما مما يُلهى ويشغل قلب المصلى فتدبر .

فما فى مسجد المدينة من النقوش المتنوعة ، وطلى الذهب الكثير جدًّا ، وكتابة الأبيات والأشعار الباطلة محفورة على الأسطوانات ، وكتابة أسماء النبى صلى الله عليه وسلم على الجدار القبلى ، وفيها ماهو من أسماء الله الخاصة له تعالى كالمهيمن والمحيي ، وكتابة أبيات قصيدة البردة تماما على سقوف الأروقة والقبب القبلية ، وكتابة أحاديث موضوعة محفورة على الحديدالمذهب : كحديث « مَنْ زَارَ قَبْرِى وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي » ونحوها من النقوش التى هى منكرة شرعا ، و إنى لاأشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لأزالها حالا ، ولا يدخل هذا المسجد حتى تزال هذه المنكرات فتنبه .

فصل

فيما حكى عن السلف الصالحين فى المنكرات التى حدثت فى المدينة الطيبة ثم تزداد يوما فيوما ، وعاما فعاما ، إلى أن وصل الأمر إلى يومنا هذا

عام ١٣٦٦ هجرى ، فما بقى من الدين إلا اسم الإسلام ، وصورة الصلاة ، وقراءة القرآن بألحان ، وهاك مانصوّر :

قال الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبى المتوفى عام ٤٦٣ هجرى فى كتابه [جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٠٠] عن مالك رحمه الله تعالى قال : قدم علينا محمد بن شهاب الزهرى قدمة ، يعنى من الشام ، فقلت له : طلبت العلم حتى إذا كنت وعاء من أوعيته تركت المدينة ونزلت إداما ، فقال : كنت أسكن المدينة والناس ناس ، فلما تغير الناس تركتهم . وكان وفاة ابن شهاب عام ١٢٤ ، وهو من التابعين .

وقال أنس بن عياض : سمعت هشام بن عروة يقول : لما اتخذ عروة ابن الزبير رضى الله عنه قصره بالعقيق قال له الناس : قد جفوت عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنى رأيت مساجدكم لاهيـــة ، وأسواقكم لاغية ، والفاحشة فى فجاجكم عالية ، وكان فيما هنالك عما أنتم فيه عافية ، وكان موت عروة رضى الله عنه عام ٩٣ هجرى .

ومن أعجب مارأيت فى المسجد الشريف كأنهم راعوا حفظ الآثار ، حتى إن أسطُوانات الروضة الشريفة غير منتظمة وغير متساوية الأبعاد ، لماذا ؟ لأنهم كأنهم راعوا مواضعها فى العهد النبوى . ولا شك أن هذا شىء غير مفيد ، ولـكن جهلوا الأشياء المهمة المفيدة فغيروها وهم لايشعرون سوء عاقبة ماصنعوا ، ألا وهو هدم الحجرات الشريفة ومحوها وجعلها كقبور ملوك الروم وكنائس النصارى كما أسلفناه ؛ وإنما السبب لهذه الأمور الجهل والغفلة ، أو الغلوّ والتعصّب ، أو التقليد وتفويض الأمور

إلى غير أهلها من النصارى والروم واليهود والمجوس اتباعًا للهوى ، وحبًّا للدنيا والشهوات كما لايخفى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد شاهدت أن الذين يدّعون السلفية والتوحيد، وأنهم أهل الحديث غافلون عما كان عليه السلف الصالحون ، فإنى قد رأيتهم فى المسجد النبوى يترددون كل يوم مراراً إلى المواجهة للسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم مراءاة لما عليه الناس ، وكذا رأيتهم يقرءون كل صباح دلائل الخيرات مع أن حالها وحكمها لايخفى على المؤمن ذى العلم والعقل ، فتيقّنت أن دعوى السلفية شبكة لاقتناص أموال الناس مشياً على ما عليه الوهابيون من السلفية والتوحيد ، ولا يقبل الله تعالى من الطاعات والأعمال إلا ما كان صادقا وخالصاً وصوابا فتنبه . ؟!!

وفى سنن ابن ماجه عن أنس وابن عباس رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرَاكُمْ سَتُشَرِّفُونَ مَسَاجِدَكُمْ بَعْدِي كَمَا شَرَّفَتِ الْيَهُودُ كَنَائِسَهَا وَكَمَا شَرَّفَتِ النَّصَارَى بِيَعَهَا » .

قال العينى فى عمدة القارى ج ٤ ص ٢٠٤ فى شرح قول عمر رضى الله عنه : وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس : إياك كلمة تحذير: أى احذر من أن تحمر المسجد أو تصفر، ومراده الزخرفة ، وتفتِن: أى توقع الناس فى الفتنة. قال الخطابى وإنما زخرفت اليهود والنصارى كنائسها وبيعها حين حرفت الكتب وبدلتها فضيعوا الدين وعرجوا على الزخارف والتزيين وقال محيي السنة : إنهم زخرفوا المساجد عند ما بدلوا دينهم وأنتم تصيرون

مثلهم ، وسيصير أمركم إلى المراءاة بالمساجد والمباهاة بتزيينها ، و بهذا استدل أصحابنا على أن نقش المسجد وتزيينه مكروه الخ .

والسنة فى بنيان المسجد: القصد وترك الغلو فى تشييده خشية الفتنة والمباهاة ببنيانها ؛ وكان عمر رضى الله عنه مع الفتوح التى كانت فى أيامه وتمكنه من المال لم يغير المسجد عن بنيانه الذى كان عليه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء الأمر إلى عثمان رضى الله عنه والمال فى زمانه أكثر ، ولم يزد على أن وسعه ، وجعل مكان اللبن حجارة وقصة ، وسقفه بالساج مكان الجريد للإحكام ، فلم يكف هو وعمر رضى الله عنهما عن البلوغ فى تشييده إلى أبلغ الغايات إلا عن علمهما بكراهة النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، وليُقتدى بهما فى الأخذ من الدنيا بالقصد والزهد .

وأول من زخرف المساجد الوليدُ بن عبد الملك بن مروان ، وذلك فى أواخر عهد الصحابة رضى الله عنهم ، وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفا من الفتنة الخ .

قال العبد الضعيف المعصومى عصمه الله تعالى : اعلم أن المساجد إنما تبنى للعبادة و إقامة الصلوات بالجماعة ، وهى إنما تكون بالخشوع وحضور القلب مع الله عز وجل ، فالمناسب فى المساجد القصدُ و بناؤها بلا نقش ولا زخرفة ، ولا تُبنى المساجد للتفرج والتنزه والتفاخر كما هو شأن الذين غيّروا دينهم و بدّلوا شرعهم من اليهود والنصارى ، ومن هذه الأمة من ليس لهم علم بما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين والأحكام والأدب ، بل اغتروا وافتتنوا بزخارف الدنيا ، و بمدح

مدائح المداحين الذين يستحقون أن يُحثى فى وجوههم التُّراب ، فقلدوا أهل الأهواء ، فلم يبق لهم من الإسلام إلا اسمُه ، ومن القرآن إلا رسمُه فابتلوا بما ابتلوا من البدع والضلالات ، فهذه مصيبة عظيمة ابتلى بها المسلمون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد ذكر محمد حسين هيكل المصرى فى كتابه: منزل الوحى ج١ ص٤٢٣ أن القُبّة الخضراء التى فوق قبر النبى صلى الله عليه وسلم أمر بانشائها والى مصر قايتباى فى عام ٦٧٨هـ ، والحجرة النبوية أدخلت فى المسجد عام ٨٨ من الهجرة لاعتبارات سياسية فى ضمها إليه ، وزخرفوا هذا المسجد الشريف بما لا يقاس عليه شىء من مساجد العالم الإسلامى ، زخرف العمارة ، وزخرف المحاريب ، وزخرف السجاجيد ، وزخرف الثريّات ، وقد تبارى الملوك والأمراء والسلاطين ، ففعلوا مايستهوى اللُّبّ ويفتن الناظر ، وكل هذا اجتمع من هدايا الغلاة فى هذا الدين ولكن مابلغوا إلى مافى كنائس أوروبا الكاثوليكية ولا البروتستانية ، وهذا المنبر من الرخام المنقوش باللبقة الذهبية الفاخرة ، أرسل هدية من السلطان مراد الثالث العثمانى عام ٩٩٨ هجرى ، والمتعبدون فى الروضة كأنهم اتخذوا هذه الزخارف آثاراً تعبدية ، ولو أن النفس الإسلامية كانت اليوم كما كانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين صفاءً وطهارةً وقوةً ، لَمَا تأثَّرت فى خشوعها وتوجهها إلى الله بمكان .

يحسب الأكثرون أن الروضة كانت دائما كما يشهدونها اليوم منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، والحق أنها لم تكن إلا فى عصور

متأخرة ؛ لأن أصل المقصد الدعوة إلى كمال الروح وسموها والتقرب إلى بارئها ، وليس المقصود الزخرف المادى الظاهرى ، والمسلمون كانوا يتوجهون خالصاً إلى الله بدون التفات إلى الدنيا وزخارفها ، ولا فخر ولا كبرياء ، وإن كان الفتح الإسلامى قد امتد فى عهد عمر رضى الله عنه وامتلأت بيوت المال بما يسهل معه بناء مسجد فى نهاية الفخامة والزخرف أفخم مما كان فى كنائس الشام ، ولكن عمر رضى الله عنه ما بنى إلا فى الصورة البسيطة كما جعله الرسول صلى الله عليه وسلم رمزاً إلى اختيار ما عند الله من العرفان والنور .

ثم إن عثمان رضى الله عنه وسع المسجد وجدده وبناه أمتن وأبقى ، ولم يزد عثمان ولا عمر رضى الله عنهما من ناحية الشرق ، لأن بُيوت النبى صلى الله عليه وسلم كانت هناك قائمة ؛ وكان أقربها بيت عائشة رضى الله عنها ، الذى دُفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخليفتاه : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ لذلك لم تكن الحجرة النبوية فى المسجد .

والوليد فى عام ٨٨هـ قد استعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة ، وأمره بتوسيع المسجد ، وإدخال حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، وكانت تلك الحجرات من الآثار التاريخية الباقية للنبى الكريم ، ولحياته فى المدينة ، والناس كانوا يصلون صلاة الجمعة فيها مؤتمين بإمام المسجد ؛ فلما هدمها حزن المسلمون حزناً شديداً وبكوا .

يقول نصار الخراسانى سمعنا سعيد بن المسيب يقول : والله لوددت أنهم تركوها على حالها ، وكان الوليد بالشام ، وكان افتتن بفنّ عمارة الروم فى كنائسهم ،

وكان مفتونا بحسن المتاع بالحياة ، وكان قد تأثر بالآثار المسيحية والوثنية فى تجمّلها إرضاء لآلهتهم ، وتقرباً بها إليهم ، فهدم الوليد المسجد النبوى ، وأعاده و بناه على الفكرة الفنية التى ملكت نفسه ؛ فكتب إلى ملك الروم : إنا نريد أن نعمر مسجد نبينا الأعظم فأعنّا فيه بعمّال وفسيفساء ، فبعث ملك الروم أربعين نفراً من الروم ، وأربعين من القبط ؛ فبعد أن أتم البناء جاء الوليد يطوف بالمسجد ومعه أبان بن عثمان رضى الله عنه ، فلما نظر إلى المسجد ، واطمأنت نفسه إلى عمارته ، نظر إلى أبان وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟ فأجاب أبان رضى الله عنه : إنا بنيناه بناء المساجد وأنتم بنيتموه بناء الكنائس .

قلت : هذه الكلمة عميقة المغزى لمن يفهم ، والوثنيون كانوا يزينون آلهتهم بهذه الزخارف إرضاء للحمقى والجهال .

وأما الإسلام فبسبب صفائه برىء من هذه المظاهر الخداعة ، فالإسلام دين بسيط بلا تكلّف ، كذلك مساجده بسيطة بلا تكلف ولا زخرف ، والمسلمون لما ضعف إيمانهم بالله اغتروا بهذه الزخارف ، ونسوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم ، فتكدرت صدورهم ، واتصلوا بجيرانهم من أهل الحضارة الأخرى من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين ، وازداد ذلك بالمنازعات السياسية ، والثورات العصبية .

ثم بعد أن احترق المسجد كله ، ولم تكن للحجرة النبوية قبة قبل القرن السابع ، أقامها المنصور قلاوون فى عام ٦٧٨ هجرى ، ثم لعبت

السياسات فى شأن المسجد الشريف على ما لا يتفق مع روح الإسلام ، وأفتى العلماء فى شأن القبة بأنها بدعة محرمة لما ثبت النهى عنها ، ثم غلب أهل الأهواء ، وعزّروا من أفتى ببدعية القبة وعاقبوه ، ثم آخراً جدد المسجد السلطان عبد المجيد تجديداً كلياً ، فتمت العمارة من عام ١٢٦٥ إلى عام ١٢٧٧ ، ومن بدع هذه العمارة كتابة القرآن ، وقصيدة البردة ، وأسماء الله الحسنى ، وأسماء النبى صلى الله عليه وسلم ، فتطورت العمارة على مقتضى السياسة والأهواء ، فخرجت عن العربية الإسلامية ، إلى الرومية والفارسية الوثنية الخ مختصراً ج ١ ص ٤٦٧ .

قال المعصومى — عصمه الله تعالى : قال ابن كثير فى تاريخه ج ٩ ص ٧٤ نقلا عن ابن جرير : إنه فى شهر ربيع الأول عام ٨٨ هـ وصل كتاب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو إذ ذاك أمير المدينة يأمره بهدم المسجد النبوى ، وإضافة حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة ، وقرأ كتاب أمير المؤمنين الوليد فشق عليهم ذلك ، وقال : تركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، وإلى بيوت النبى صلى الله عليه وسلم ، فينتفعوا بذلك ويعتبروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد فى الدنيا ، فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة ، وهو ما يَستر ويُكنّ ، ويعرفون أن هذا البنيان العالى إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة ، وكل طويل الأمل ، راغب فى الدنيا وفى الخلود فيها .

فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء

العشرة ، فأرسل إليه يأمره بالهدم والتخريب، و بناء المسجد على ما أشار، فلم يجد عمر بدّا من هدمها . ولما شرعوا فى الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس ، وتباكوا مثل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرع فى البناء ، وكان أرسل فَعَلة كثيرة من الروم ، فأدخلوا فيه الحجرة النبوية ، حجرة عائشة رضى الله عنها ، فأدخل القبر فى المسجد ، وروى أنهم لما حفروا الحائط الشرقى من حجرة عائشة رضى الله عنها بدت لهم قدم ، فخشوا أن تكون قدم النبى صلى الله عليه وسلم حتى تحققوا أنها قدم عمر رضى الله عنه ، وأن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أنكر إدخال حجرة عائشة فى المسجد كأنه خشى أن يتخذ القبر مسجداً الخ .

قال العبد الضعيف المعصومى ـ عصمه الله تعالى: رحم الله تعالى الفقهاء العشرة، إن ما أشاروا به هو الحق بلا ريب، و إن مافعله الوليد و باشره عمر ابن عبد العزيز بدعة شنيعة مضرة فى الدين وهم لايشعرون ، و إنى كنت منذ بضع وأربعين عاما أتفكر فى هذا الأمر ياليت أنهم لو تركوا حُجُرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم على ماهى عليه ، ورمّوها وأصلحوها كما هى بلا تغيير لكانت فيها عبرة كما لا يخفى ، فالحمد لله تعالى أن فكرتى وافقت فكرة الفقهاء العشرة ، فأسأل الله تعالى أن يوفقنى لاتباعهم ، ويحشرنى غداً فى زمرتهم بفضله ومنّه .

والوليد اغتر بالدولة وافتتن بزخارف الروم والفرس ، وغفل عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر خلفائه الراشدين رضى الله عنهم ، فغيَّر وبدّل ، وصار سبباً لافتتان ملايين من المسلمين الغافلين عن الأصل حتى

صاروا يعبدون القبر وجدرانه وشبابيكه ، فيتوجهون إليه بغاية الخشوع ونهاية الخضوع ، كما يتوجه عبّاد الأوثان إلى أوثانهم بلا فرق .

وفى الإبداع فى مضارّ الابتداع للشيخ على محفوظ ج ١ ص ١٧١ : ومن البدع المكروهة تزويق المساجد وزخرفة المحاريب ، وهى أشد كراهة من زخرفة بقية أجزاء المسجد لأنه يُشغل قلب المصلى ، ولأن شيئاً من ذلك لم يكن فى العهد الأول ، وأمر عمر رضى الله عنه ببناء المسجد ، وقال للبَنَّاء أكنّ الناس من المطر ، وإياك أن تحمّر أو تصفّر ؛ وأول من ابتدع زخرفة المساجد الوليد بن عبد الملك ، فقد كان السلف رضى الله عنهم يكرهون تزويق المساجد والقبلة بالزخرف ، وتحلية المصاحف ؛ وفى الخبر : « إذا زَخْرَفتم مَسَاجِدَكُمْ ، وَحَلَّيتم مَصَاحفكُمْ فالدَّمارُ عَلَيكُمْ » ، كذا فى (القوت لأبى طالب المكى) ، فزخرفة المساجد صارت من أشد الأدواء ، بحيث يصعب إقناع العامة بأن هذه بدعة وحدَث فى الدين ، وخصوصاً فى المسجد النبوى ، فإن الفتنة والافتتان هناك أشد وأعظم .

ومن أشد البدع اتخاذ القبر مسجداً وموسماً ، وعيداً من الأعياد ، يشدون إليه الرحال ، كما تشد لزيارة بيت الله الحرام ، ولكل ولىّ عندهم موسم خاص ، وهذه البدعة قد ورد النهى عنها صريحاً مع ما ينشأ عنها من الشرور والمفاسد ، كما روى أبو داود وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَىَّ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ » .

وعن سهل بن أبي سهيل قال : رآني الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند القبر ، فناداني وهو ببيت فاطمة رضي الله عنها يتعشى، فقال هلمّ إلى العشاء ، فقلت: لاأريد ، فقال مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لذلك دخلت المسجد ، ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَلاَ بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ » ، فما أنت ومَن بالأندلس إلا سواء منه صلى الله عليه وسلم ، رواه سعيد بن منصور في سننه ، وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد القبور وأفضلها ، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان ، وهذا النهي قد تضمن النهي عن تحرّي العبادة عند القبور ، ولاشك أن اتخاذ القبور عيداً إنما هو من أعمال المشركين وعبّاد الأوثان التي كانوا عليها قبل ظهور الإسلام .

مشروعية الزيارة

وإنما شرعت الزيارة بقصد الإحسان إلى نفس الزائر وإلى الميت ؛ أما إحسانه إلى نفسه، فبتذكر الموت والآخرة والزهد في الدنيا ، والاتعاظ بحال الميت كما في الحديث : « زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » رواه مسلم وغيره ؛ وعن عليّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ » . رواه أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه

وذلك أن الإنسان إذا شاهد القبور ، وتذكر الموت ، وانقطاع هذه الحياة ، وانقضاء ما ألفه من اللذات والشهوات ، وتفكر فيما يصير إليه من ضيق اللحد ، وتسلط الدود ، وهو لايدرى ما يئول إليه من شدة الحساب ، وصعوبة الجواب، دخل قلبَه الروع، وحضرته الخشية ، وكان له ذلك عظة واعتباراً ، وهذا الغرض من الزيارة يحصل برؤية القبور من غير معرفة أصحابها ولو قبور الكفار .

وأما إحسانه إلى الميت فبالسلام عليه ، والدعاء له بالرحمة والمغفرة ، وسؤال العافية؛ فحينئذ تسنّ الزيارة لكل مسلم ؛ ففى الحديث الصحيح عن بريدة رضى الله عنه « أنَّهُ صلى الله عليه وسلم كان يعلِّمهمْ إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكمْ يا أهلَ الديارِ منَ المسلمينَ والمؤمنينَ، وإنَّا إن شاء الله بكمُ لاحقونَ ، أنتمْ لنا سلفٌ، ونحنُ تبعٌ، نسألُ الله لنا ولكم العافيةَ » . رواه مسلم والترمذى بالمعنى .

فالنبى صلى الله عليه وسلم بيّن لنا فائدة زيارة القبور للزائر والمزور .

فينبغى لمن يزور قبر ميت ، وليًا كان أو غيره من المؤمنين أن يسلم عليهم ، ويسأل لهم العافية ، ويستغفر ويترحم ، ثم يعتبر بحال من زارهُ ، وماصار إليه حاله ، وهل قبره روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ، والعياذ بالله عز وجل، ويملأُ قلبه بهذا الاعتبار ، ويتعلق بمولاه بالخلاص من هذه الأمور الخطيرة التى لا يخلّص منها إلا الاستقامة مع إحسان الله ورحمته .

وكثير من الناس صاروا يعظمون القبور تعظيما مفرطاً ، كما يعظم عبّاد

الأصنام أصنامهم « وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراتِ القبور والمتخذين عليها السرج والمساجد » رواه أبوداود والترمذى ، ولهذا قال العلماء : لايجوز النذر للقبور لاشمع ولا زيت ولاغير ذلك .

وسرّ النهى عن زيارة القبور أولا : أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور فى قوم نوح نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى صدر الإسلام عن زيارتها سدّا لذريعة الشرك ، لكونهم حديثى عهد بشرك ، ثم لما تمكن التوحيد فى قلوبهم أذن لهم فى زيارتها ، وعلّمهم كيفيتها تارة بفعله ، وتارة بقوله كما بيناه سابقاً .

قال ابن الحاج فى المدخل : لا يجوز الطواف حول الأضرحة ، فإنه لايطاف إلا بالبيت العتيق ، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحَجَر الأسود ، فما يفعله من لاعلم عنده من الطواف بالقبر الشريف النبوى ، ويتمسح به ويقبله ، ويُلقون إليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك ، كل ذلك من البدع ، لأن التبرك إنما هو بالاتباع له صلى الله عليه وسلم ، وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب .

ولهذا كره العلماء رحمهم الله تعالى التمسح بجدار الكعبة ، أو بجدران المسجد أو بالمصحف ، إلى غير ذلك مما يتبرك به سدّا لهذا الباب ولمخالفة السنة ، لأن صفة التعظيم موقوفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل ماعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم نعظمه ونتبعه فيه ، فتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه ، لاتقبيله ولا القيام إليه كما يفعله بعضهم ، وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه ، لاالتمسح بجدرانه ، وكذا النبى والولى

تعظيمه اتباعه ، لا تقبيل يده وقدمه ولا التمسح به ؛ فالتعظيم بالاتباع لابالابتداع. قال سليمان بن حرب رحمه الله : قبلة اليد هى السجدة الصغرى؛ وعن ابن عبد البر رحمه الله : يُقال تقبيل اليد إحدى السجدتين ، وقبض هشام بن عبدالملك يده من رجل أراد أن يقبلها ، وقال مه فانه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع ، ومن العجم إلا خضوع ، والتبرك هو أصل العبادة ، ولذا قطع عمر رضى الله عنه شجرة الرضوان التى بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديبية ؛ وقد ذكر أهل السير : أن سبب عبادة الأوثان هذا التبرك ، فخاف عمر رضى الله عنه أن يتمادى الحال على تلك الشجرة فتعبد من دون الله .

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم : وأحبُّ أن لا يُزاد تراب من غيره وإنما أحبُّ أن يُشخَص على وجه الأرض شبراً أو نحوه ، وأحبُّ أن لا يُبنى ولا يُجصَّص ، فإن ذلك يُشبه الزينة والخيلاء ، وليس الموت موضع واحد منهما ، ولم أرَ قبور المهاجرين والأنصار مجصَّصة ، وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يُبنى فيها على القبور ، وإنما وجب الهدم لما فى البناء من الزينة والخيلاء وإضاعة المال والتشبه بالجاهلية وقد أفتى جمع من العلماء بهدم كل مافى قرافة مصر من الأبنية ، منهم العلاّمة ابن حجر رحمه الله تعالى . إذ قال فى الزواجر : وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التى على القبور إذ هى أضرُّ من مسجد الضرار ، لأنها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك ، وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة ؛ وتجب إزالة كل قنديل

أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه ولا نذره ، فينبغى لكل أحد هدم ذلك مالم يُخش منه مفسدة .

ومن البدع المنكرة الستور التى توضع على الأضرحة ويُتنافس فيها ، والشيلان التى توضع كالعمامة على تابوت الأولياء والعلماء فإنه إسراف لغير غرض شرعى وعبث وتضليل البسطاء من العامة ولكن خَدَمَةُ الأضرحة زين لهم الشيطان ذلك ليفتح لهم بابا من الارتزاق الخبيث ، فيوهمون العوام أن بها من البركة ، ما لا يُحاط به، وأنها نافعة فى الشفاء من الأمراض، فتهافتت عليها البسطاء وهان عليهم بذل الأموال فى الحصول على اليسير منها ، وكيف تحصل البركة وهذه الستور على ماعهدتَ ، و بناء القبور على ماعلمتَ، ورفعها وتزيينها على ما سمعتَ، ومن البدع الشنيعة المحرّمة الفاشية وقوف بعض الزائرين أمامَ القبر بغاية الخشوع واضعاً يَدَيه على صدره كالمصلّى ، فهذا كله من البدع التى لم يشهد لها أصل ولا حال ولا أدب يقتضيه ، و إذا لم يشرع ذلك بالنسبة لزيارة أشرف خلق الله عليه الصلاة والسلام ، فكيف بغيره ؟ ومنشأ هذه البدع غلوُّ الشيعة الشنيعة فى شأن أئمتهم ، ولا شك أنهم قد أخذوا أكثر عقيدتهم وأعمالهم من المجوس وعبدة الأوثان فتدبّر .

وفى المادة ١٠٧ من كتاب أثر الدعوة الوهابية ج ١ ص ٤٧ أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى قدم المدينة وصاحب الشيخ محمد حيات السندى وأخذ منه علومًا جمةً ، ومن جملتها أن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وقف يوما على الحجرة النبوية ويكاد مرجل غيظه

ينفجر ممّا يرى ويسمع من الاستغاثات برسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه والضراعة إليه ، فرآه الشيخ محمد حيات على تلك الحال فجاءه يسعى ، فلما رآه الشيخ محمد بادر بسؤاله ما تقول ياشيخ فى هؤلاء ؟ فقال السندىُّ فى الحال فوراً إنّ هؤلاء متبّرٌ ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون .

وفى الروضة الندية ج١ ص١٨١ : ويحرم زخرفة المساجد لأن المقصود من بناء المساجد أن يكنّ الناس من الحر والبرد ، وتزيينهُ يُشغل القلوب عن الإقبال على الطاعة ويذهب الخشوع الذى هو روح العبادة . قال المهدى فى البحر : إن تزيين الحرمين لم يكن برأى ذى حلّ ولا عقد ولا سكوت رضا أى من العلماء ، وإنما فعله أهل الدول الجبابرة من غير مؤاذنة من أهل العلم ، وهذا كلام حسن ؛ والناس أحدثوا من البدع مالا يأتى عليه الحصر ولا يُنكره أحد ، وسكت العلماء تقيةً لارضا ، بل قام فى وجه باطلهم جماعة من علماء الآخرة ، ودعوى أنه بدعة حسنة باطلة للحديث الصحيح : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . ودعوى أنه مرغب إلى المسجد فاسدة ، لأن كونه داعياً إلى المسجد ومرغباً إليه لا يكون إلا لمن كان غرضه وغاية قصده النظر إلى تلك النقوش والزخرفة فأما من كان غرضه قصد المساجد لعبادة الله التى لاتكون عبادة على الحقيقة إلا مع خشوع ، وإلا كانت كجسم بلا روح ، والنبى صلى الله عليه وسلم كيف فعل فى الأنبجانية التى بعث بها إلى أبى جهم وهتكه الستور التى فيها النقوش .

اعلم أن تقويم البدع المعوجة التى يحدثها الملوك توقع أهل العلم فى المسالك الضيقة فيتكلفون فى ذلك من الحجج الواهية ما لا ينفق إلا على بهيمة الخ [شوكانى والفتح الربانى] .

فصـــل

فى قصة الزاهدين الصوفيين المغربين النصرانيين المجاورين فى المدينة الطيبة بقصد محو دين الإسلام

إنى قد بينت فى أوائل كتابى [مفتاح الجنة لا إله إلا الله] سبب دخول الشركيات والضلالات فيما بين أهل الإسلام ، وغالب سببها ترائى أعداء الدين المسلمين بصورة العلماء والزهاد والعباد. فمن جملتها ماذكره السمهودى فى وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٦٦ أن فى عهد الملك العادل نور الدين الشهيد فى عام ٥٥٧ هجرى وقع أمر عظيم ، وذلك أن الملك المذكور رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول: أنقذنى من هذين فاستيقظ فزعاً ، ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه فاستيقظ وتوضأ وصلّى ونام فرآه أيضاً مرة ثالثة فاستيقظ ، وكان له وزير من الصالحين يُقال له جمال الدين الموصلى فطلبه وحكى له القصة ، فقال له : اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت، فتجهز حالا وخرج على رواحل خفيفة فى عشرين نفراً مع الوزير ومال كثير فقدم المدينة فى ستة عشر يوما ، وحينما وصل صلى فى الروضة وزار وأمر بكتب أهل المدينة لتوزيع الصدقات عليهم فحضروا كلهم والسلطان يتأملهم ليجد من فى الصفة التى أراها النبى صلى الله عليه وسلم له ، فإذا لم يجد من فيه تلك الصفة يُعطيه ويأمره

بالانصراف إلى أن انفضت الناس ، فقال السلطان : هل بقى أحد ؟ فقالوا لم يبق أحد إلا رجلين مغربيّين لايتناولان من أحد شيئا وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج فانشرح صدره وقال علىّ بهما فأُتى بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبى صلى الله عليه وسلم إليهما بقوله : أنقذنى منهما ، فقال : من أين أنتما ؟ فقالا من بلاد المغرب جئنا حاجّين فاخترنا المجاورة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أصدقانى ، فصمما على ذلك ، فقال أين منزلهما فأخبر بأنهما فى رباط بقرب الحجرة الشريفة ، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما فرأى فيـــــه مالاً كثيرا وختمتين وكتباً فى الرقائق ولم ير فيه شيئاً غير ذلك ، وأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير وقالوا إنهما صائمان الدهر وملازمان الصلوات فى الروضة الشريفة ؛ وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وزيارة البقيع كل يوم بكرةً ؛ وزيارة قباء كل سبت ، ولا يردّان سائلاً قط بحيث سدّاخلة أهل المدينة فى هذا العام الجدب ، ففتش السلطان البيت ورفع حصيراً فرأى سردابا محفوراً ينتهى إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك ، وقال السلطان عند ذلك أصدقانى حالـكما وضربهما ضرباً شديداً فاعترفا بأنهما نصرانيان جاءا للتحيل فى أمر عظيم خيلته لهما أنفسُهما الخبيثة وتوهما أن يمكنهما الله منه ، وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلا به ما زينه لهما إبليس فى النقل وما يترتّب عليه ، وصارا يحفران ليلاً ، ولكل منهما محفظة جلد على زى المغاربة والذى يجتمع من التراب يجعلانه فى محفظتهما ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيُلقيانه بين القبور ، فلما قربا من الحجرة الشريفة قدم السلطان صبيحة تلك الليلة واتفق إمساكهما واعترافهما ، فأمر السلطان بقطع رقابهما فقتلا حالا هناك .

ثم أمر السلطان باحضار رصاص كثير وحفر خندقا عميقاً إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص وملأ به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة سوراً رصاصياً إلى الماء، وكذا ذكر القصة زينُ الدين المراغى فى كتابه [نصيحة أولى الألباب فى منع استخدام النصارى كتّاب] وكذا ذكرها جمال المطرى فى تاريخه. وحاصله أن الملك نور الدين محمود بن زنكى بن آق سنقر قد أتى بخدمة عالية فجزاه الله خيراً ، ومنزل الرجلان الأشقران كان فى ناحية قبلة حجرة النبى صلى الله عليه وسلم من خارج المسجد ، كذا ذكره فى الدرر السنية فى الأجوبة النجدية ج ص٢ ٤٠٩.

ونقل ابن عذرة فى كتابه: تأسّى أهل الإيمان : أن الذى أرسل من ينبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم إنما هو الحاكم بأمر الله العبيدى عليه لعنت الله لينقله إلى مصر حتى يشد الناس رحالهم إلى مصر فيكون له شأن الخ .

قال محمد سلطان المعصومى عصمه الله تعالى : هذا خلاصة ما وقفنا عليه مما يتعلق بهذه المسألة ، و إذا أردت التفصيل فيطول البحث جداً ، وحيث إن القطرة تدل على البحر اقتصرت على هذا القدر ، والله هو الموفق ، يهدى من يشاء و يضل من يشاء وهو أعلم بالمهتدين .

فنسأله تعالى أن يوفقنا لفهم كتابه والتمسك به، و بسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، و يثبتنا عليه بمنه وفضله و إحسانه ، و يرزقنا حسن الختام .

وآخر دعوانا سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وكان ذلك فى ١٠/٥/١٣٦٦ هـ فى المدينة الطيبة ، وأما تبيضهن ففي مكة المكرمة ، فالحمد لله رب العالمين .